الوسائل التعليمية

يقصد بالوسائل التعليمية أو الوسائل التوضيحية، كل ما يستعين به المدرس على التعليم في أمثل صوره، وتوضيح المادة التعليمية في نفوس الطلاب وعقولهم، على اختلاف مستوياتهم العقلية ومراحلهم التعليمية.

ومن فوائد الوسائل التعليمية أنها تزود الطالب بأساس محسوس لتفكيره، وتمده بالخبرة الحقيقية التي تخلق فيه النشاط الذاتي، وتحثه على إدامة التفكير وتواصل أطرافه، وتثير الاهتمام في نفسه بالمادة التي يدرسها وتوضّحها الوسيلة، كما تؤكد على ما يتعلمه، ويراه موضّحاً بوسيلة ما فلا ينساه. وفضلاً عن ذلك فإنها تزوده بخبرات يتعذر تزويده بها دون وسيلة؛ كوصف النباتات أو الحيوانات مثلاً، ثم عرضها في صور أو مجسمات. والوسائل توفر الوقت، وتنقل كمية أكثر من المعلومات للطالب في آن واحد.

والوسائل التعليمية كثيرة ومتنوعة، وعلى المدرس أن يقدر الموقف التعليمي الذي يتطلب وسيلة معينة، ويختار من الوسائل أنسبها للمادة التعليمية موضوع الدرس. فقد تُغني السبورة عن الصورة، وقد تفيد التسجيلات المسموعة أو المرئية عن النماذج والعيِّنات، وأحياناً تكون الألواح ضرورية لبيان توضيحي لتفرع قاعدة نحوية، أو فن بلاغي. وهذا يتوقف على تقدير المدرس، وحسن تدبيره.

وأكثر الوسائل التعليمية استخداماً وشيوعاً الوسائل المعنوية غير المادية،

وهي التي تعتمد على تمكّن المدرس من مادته، ومهارته في تنويع عرضها بسوْق الأمثلة، وبيان المشابهة بين المعلوم والمجهول أو عقد الموازنة، والوصف، والتفسير، والشرح والقَصّ.

وأحسن الأمثلة ما كانت متنوعة، مناسبة للمستوى العقلي للطلاب، متصلة بحياتهم وخبراتهم، مع صياغتها في عبارات سهلة الفهم، واضحة المعنى، دقيقة في مادتها.

وأحسن المشابهات ما استقصت كل الوجوه في أطرافها، حتى تبرز الصورة مكتملة المعالم، ناطقة بما يوضحها، ويجلي غامضها.

وأحسن الموازنات ما كشفت عن وجوه التشابه والاختلاف، وأبانت عن المقصد الذي قصده المدرس من موازنته، كالموازنة بين التشبيه والاستعارة، وبين الخبر والإنشاء.

وأحسن الوصف ما كانت جزئياته منظمة في سياق يشملها، في وضوح يناسب مدارك الطلاب، وقدرتي استيعابهم الفكرية والتصورية، حتى تنطبع صور الأشياء في مخيلات الطلاب انطباعاً يوافق الحقيقة.

وأحسن التفسير ما اعتمد على القريب من حياة الطالب وإدراكه، وجرى على التفصيل الدقيق بغير إسهاب يضيّع المعنى، مع مراعاة رصيد الطالب من اللغة، والحياة. وكذلك الشرح، ينبغي أن يُساق في عبارات واضحة، محدودة المعاني، خالية من الغموض أو الإبهام أو الترادف لغير سبب.

والقَصّ وسيلة جذابة لصغار التلاميذ، تُساق من خلالها الحقائق اللغوية، والفوائد المعنوية. ويُراعى فيه ألا يرتفع على مدارك الدارسين وقدراتهم، وأن تشتمل القصص على ما يبعث النشاط في النفوس، وتحمل السامعين على تتبعها، والاستغراق في فهم معانيها.

أما الوسائل التعليمية المادية فهي تقوّي الملاحظة، وتطبع على الدقة والتأمل. وإنها لعظيمة التأثير في النفوس، بما تثيره من تنوع في مسار الدرس، وبعث للسرور، وتمثّل الحقائق. إلا أن الإسراف فيها يصرف الطلاب عن جوهر الدرس، ويحيل الوسيلة غاية مقصودة يُتَلَهَّى بها، وهو ما

يترتب عليه تشتت انتباه الدارسين، وتحولهم عن الدرس كله. كما يظهر ضرر هذا الإسراف في تعطيل القدرات العقلية، والنفسية، عن إدراك المعنويات، والاعتماد على المرئي المشاهد.

أنواع الوسائل التعليمية المادية:

1 ـ السبورات، وهذه ثلاثة أنواع: السبورة الطباشيرية، والسبورة الوبرية، والسبورة الإخبارية.

أ ـ والسبورة الطباشيرية لا يخلو منها فصل مدرسي، في كل مراحل التعليم من الابتدائية حتى المرحلة الجامعية، لأنها رخيصة الثمن، سهلة الاستخدام، ميسرة النفع، ثابتة لا تشغل مكاناً في الفصل، تستجيب لكل مدرس وفق طريقته الخاصة، وهي لا تُستَهلك بالاستخدام، ثم إنها خادم للمدرس والتلميذ على السواء، تقبل منهما ما يريدان أن يسجلاه من أسئلة، ورسومات، وشروح وغيرها، كما يسهُل محو ذلك أو تعديله بلا صعوبة.

والمدرس الماهر الذي يُحسن استخدام السبورة، فيسجل عليها الأسئلة، واللغويات الصعبة، وعناصر الدرس، والأمثلة، ويعرض عليها النماذج الخطية وشروحها، وقطع الإملاء المنقولة والمنظورة، ويشرح عليها الصعب والغامض على الطلاب.

لهذا قال المربون: إن المدرس أسئلة وسبورة، ويقصدون بالسبورة حسن استخدامها وتنظيمها، فيرتب ما يعرضه عليها؛ فالجانب الأيمن للأساسيات كالأسئلة، والعناصر، والأمثلة، والجانب الأيسر للفروع التابعة؛ كالشروح، والتوضيح، والنماذج، ثم يكون وسطها لعنوان الدرس في أعلاها، وفوقه التاريخان، حتى تبدو لوحة جميلة، تجذب إليها الطلاب، ويسعدون بمرآها. وهو ما يقوي المعلومات لديهم، ويمكّن لها مرتبة في نفوسهم، على حذو ما يرونه على السبورة، وما يسمعونه من مدرسهم. ثم ينتقل هذا الترتيب والنظام إلى سلوك الطلاب في أعمالهم وتفكيرهم.

أما السبورة المضطربة، فإنها تفقد قيمتها عند الطلاب، وتدل على ارتباك المدرس، وتهوش أفكاره، وتخبط خطواته في درسه. فإذا تناثرت الكتابة على

السبورة على غير انتظام، واختلط يمين السبورة بيسارها، وتداخلت الجمل بعضها ببعض، ومالت الأسطر في غير استقامة أو اعتدال ـ فهذه صورة تربأ بالمدرس عن الوقوع فيها؛ لخطورتها على تحصيل طلابه، ودلالتها على شخصيته، وعمله كله. كما ينبغي على المدرس أن يضبط حركته أمام السبورة، وينظم استعمال يديه في الإشارة إلى ما دوّنه عليها، وألا يسترها بجسمه فيحرم الطلاب من الانتفاع بما دوّن عليها.

أما السبورة نفسها، فأفضل ألوانها هو اللون الأخضر الذي يريح العين، ويضفي بهجة على جو الفصل، وتظهر عليه الكتابة ظهوراً واضحاً. كما ينبغي أن يكون سطحها ناعم الملمس من غير لمعان، وأن توضع في مكان مناسب على حائط الفصل.

وإنه لمن الضروري وجود سبورة إضافية محمولة على حامل متنقل، وذلك في كل فصل، إلى جوار السبورة الأصلية المثبتة على الحائط؛ ليستعملها المدرس عند الحاجة إليها كما في بعض دروس الإملاء، وتعليق الوسائل التعليمية، والتطبيقات التي يعدها المدرس قبل الحصة.

ب ـ والسبورة الوبرية ذات دور كبير في توفير وقت المدرس لينفقه في الشرح، كما ترفع عنه الحرج عندما لا يستطيع الأداء الفوري للمادة، خاصة في نماذج الخط، والخرائط التوضيحية، والصور المرسومة، فيأتي بها من صنع غيره، ويثبتها على السبورة الوبرية، ثم يعيد استعمالها مرات ومرات. فيعدّ المدرس ما يعرضه على السبورة قبل الحصة، خاصة في المراحل التعليمية المبكرة في المدرسة الابتدائية، وكذلك في دروس محو الأمية، التي تعرض فيها الكلمات المكونة للجمل والفقرة، والصور المعبرة عنها، ثم في تحليل الكلمة إلى حروف. كما تستخدم في تعليم التعبير عن طريق القصص المصورة، فتعرض الصور التي تمثل القصة أمام التلاميذ؛ ليقوموا بالتعبير عنها وهم ينظرونها؛ ويؤلفون بينها بعبارات من إنشائهم. وبهذا ينصرف المدرس إلى الشرح والمناقشة، بغير إضاعة للوقت، أو قصور في العرض يسبب له حرجاً أمام تلاميذه.

جـ ـ أما السبورة الإخبارية، فهي وسيلة ناجعة لإغراء الطلاب بالقراءة، وتوسيع معلوماتهم؛ بما يعلقه المدرس عليها من أغلفة الكتب الجديدة

ليعرّف بها، أو ما يكتبه عليها من عناوين أحدث المطبوعات التي وصلت مكتبة المدرسة ليستعيروها. ويستعملها المدرس في عرض ما تنشره الصحف والمجلات، من مقالات، وصور، وأخبار، وإعلانات، وطرائف. كما تستخدم في الإعلان عن المحاضرات المدرسية، والندوات والاحتفالات المختلفة. وهي وسيلة الإدارة المدرسية في الإعلان عن الطلبة المتفوقين لتشجيعهم، وحفز غيرهم نحو اللحاق بهم، والتشهير بالعابثين، وبيان ما نالهم من عقاب لردع أمثالهم.

فهذه السبورة وسيلة تثقيف، وباب من أبواب المعرفة، ونافذة يطّلع من خلالها الطالب على العالم الخارجي، وحلقة وصل بينه وبين المحيط المدرسي كله.

2 ـ النماذج والعيّنات: وتشتمل على نماذج مجسمة لما يستحيل استحضاره في الفصل؛ كمصنع، أو أثر قديم، أو حيوان، وهذه وغيرها تكون أحياناً موضوعاً للتعبير، أو محور نص أدبي، أو مدار بحث في موضوع للقراءة.

أما العيّنات فيمكن إحضارها في الفصل ليشاهدها الطلاب، كزهرة، أو ثمرة، أو صوف الغنم، وشعر الماعز، وأوبار الجمال.

وهذه النماذج والعيّنات تزيد من تصور الدارسين لأجزاء الموضوع، والإحاطة بما لا يقدر الوصف على بلوغه بسبب القيود اللغوية، كما توسع من معارف الطالب فيما لا يجده في بيئته، كبعض الحيوانات، والثمار التي تصورها المجسمات.

3 ـ الصور والرسوم: وهذه كثيرة في الكتب المدرسية، ويحرص الطلاب على تزيين فصولهم بها، واتخاذها معرضاً لما يدرسونه، فيصورون بعض النصوص الأدبية، أو موضوعات القراءة، أو موضوعات التعبير. وقد أبدع أحد الطلاب في رسم صورتين: إحداهما لشِعْب بوّان كما وصفه المتنبي في قصيدته (مغاني الشّعب. . .)، والأخرى لفتح عمورية من قصيدة أبي تمام (السيف أصدق إنباء. . .)، ونتيجة لذلك أجاد الطلاب فهم النصين وحفظهما على غير مثال. وفي كثير من كتب القراءة صور ورسوم يستغلها

المدرس في إجراء مناقشة حولها، يجد فيها الطالب متعة وتنافساً، وتوليداً لكثير من المعاني الطريفة. كما يمهد بعض المدرسين لدروس التعبير، أو القراءة، أو الإملاء، بعرض صور تمثل موضوع الدرس، أو تثير الشوق إلى تناوله؛ كصور الدمار الأمريكي لمدينتي طرابلس وبنغازي في الغارة المشئومة على الجماهيرية، وصور الفظائع الصهيونية في فلسطين، وهذه وغيرها تعمق المعاني في النفوس، وتستثير مهارات التعبير اللغوي.

4 ـ التسجيلات المسموعة والمرئية: وإنها لعظيمة الجدوى في ترتيل القرآن الكريم، وقراءة الشعر، إذ يخرج الطلاب عن المألوف من التزام الكتاب، وسماع المدرس، إلى متعة الإنصات، وتجديد مصدر التعلم. كما يشعرهم بالامتزاج بالحياة في واقعها الذي يعيشونه خارج المدرسة.

أما التسجيلات المرئية، فإنها من أعظم الوسائل التعليمية الحديثة، ولم يعد استعمالها صعباً بعد انتشار أجهزة التسجيل المرئي (الفيديو)، بأنواعها التي تستجيب لكل الظروف. وهو ما يتيح عرض أشرطة تساعد في رؤية ما لا يدركه الطالب بنفسه، مثل المعارك الحربية، وصراع الحيوانات المفترسة في الغابات، كما تفيد في عرض الدروس النموذجية من مدرسين متميزين أكْفَاء، وكذا تتيح لمن فاتتهم فرص التعليم تعويض نواقصهم عن طريق الأشرطة المسجلة. وإن استخدام الإذاعة المرئية ذات الدورة المقفلة في ميدان التعليم، لذو شأن عظيم في إعداد المعلمين، خاصة في مجال مشاهدة المواقف التدريسية على الطبيعة أو مسجلة مبثوثة، وقد قامت الجامعات المفتوحة في معظم البلدان على التسجيلات المرئية وكانت ثمارها قيِّمة.

كما تستخدم التسجيلات المرئية بنجاح في محو الأمية، ومن ميزاتها اتسامها بالإمتاع وإغراء المتعلم، وحمايتها كبار السن من الحرج عند اجتماعهم في فصول محو الأمية بمن هم في أعمار أبنائهم، وتغلّبها على توزّع الأميين في البوادي والنجوع والقرى، وهو ما يعوق حملات محو الأمية من الوصول إليهم جميعهم.

وفي مجال التربية العملية يستطيع الطلاب الجامعيون والمعهديون رؤية أنفسهم أثناء إلقائهم الدروس التطبيقية، أو مشاهدة زملائهم، وإدارة نقاش

حول هذه الوسائل التعريفية مع أساتذتهم المشرفين عليهم. وفي ذلك تدريب لخبراتهم، وتمكين لأساتذتهم من الكشف المباشر، والتوجيه على الواقع.

5 ـ الخرائط الجغرافية: وهي ضرورية في النصوص، والقراءة، والقصص التاريخي، فإذا عرض المدرس قصيدة ابن زيدون في ولادة بنت المستكفي، أو نص أبي مروان بن حيان في وصف موقعة بربشتر ـ كان من الضروري عرض خريطة الأندلس؛ ليتصور الطالب الوعاء المكاني للقصيدة. وإذا تناول المدرس بالشرح والمناقشة في درس القراءة الحروب الصليبية وأطماعها، كانت خريطة الشام، ومواقع المدن والمعارك عليها أمراً ضرورياً.

6 ـ الألواح الموضوعية، وهي ما يسميها الطلاب «اللوحات التوضيحية»، ويلجأ إليها المدرس لتوضيح القواعد النحوية في أشكال تجميعية مبسطة واضحة، مثل درس الضمائر وأنواعها، ومواقعها الإعرابية، والتصغير وصور صياغة الاسم المصغَّر، والإعلال والإبدال، وهذه من الموضوعات النحوية والصرفية ذات التفريعات الكثيرة، والتي يحسن الاستعانة بالألواح التوضيحية في تبسيطها.

وكذلك في القواعد الإملائية خاصة في أحوال رسم الهمزتين المتوسطة والمتطرفة، وفي الفنون البلاغية وتوزيعها على علوم البلاغة: البيان، والمعاني، والبديع، دون إفراط يغري به الاختصار؛ فتتحول البلاغة إلى جداول ورموز تحرم الطلبة من التذوق الفني. وكذلك في العصور الأدبية، وحدودها التاريخية، وأشهر أعلامها. كل ذلك وغيره يُعرض في ألواح يعدّها المدرس بمشاركة من طلابه، فيضيء ما غمض عليهم، أو اشتبه في فروعه، أو كثُر تشعبه.

وإن هذه الوسائل تخضع لتقدير المدرس، ومهارته في استعمالها وابتكار أنواعها. وهي تمكّن من تعدد السبل في إدراك المعارف، وتحصيل المعلومات. فالطالب يسمع المدرس، ويقرأ في كتابه، ويكتب ما يهتدي إليه، ثم هو يتعامل مع الكتاب قراءة، وتُعرض عليه خريطة تثبّت ما وعاه، ويسمع تسجيلاً يوقفه على النطق السليم، والتعبير الرصين. فتمرن حواسه

على جودة الاستقبال وبراعة الأداء، ويراوح بين مصادر تعلمه، ويثبّت المعرفة العقلية بالرؤية البصرية.

ومما يزيد من استفادة الطالب اشتراكه في صنع الوسائل مع المدرس أو مع رفاقه، فيشعر بالغبطة، ويُقبل على استيعاب ما صنعه بنفسه. وينبغي على المدرس المناسبة بين الوسيلة التعليمية والمرحلة المستعملة فيها، فالسبورة الوبرية ـ مثلاً ـ تناسب تلاميذ المرحلة الابتدائية، والسبورة الإخبارية تناسب الإعدادية وما فوقها، والتسجيلات المرئية أنسب الوسائل في محو الأمية، وتعليم مبادىء القراءة والكتابة للصغار في الصفوف الأولى من المرحلة الابتدائية، كما تناسب من جانب آخر طلاب كلية الطب ـ مثلاً ـ في مشاهدة دروس التشريح عن طريق الدوائر المقفلة.

وهكذا تحتل الوسائل مكانة رفيعة في التدريس، ولكنها تحتاج إلى خبرات مدربة، وإنفاق سخي، وتقدير لخطرها في مؤسسات التعليم.